محاضرة 13 تقنيات التحليل سنة أولى ماستر علم الاجتماع الاتصال.2020

التحليل الميكروسوسيولوجي للإتصال

يخضع نضام الاتصال للتسلسل والتراتبية الاجتماعية حيث لا يمكن أن نعدم الفوارق الاجتماعية والمعرفية في التحكم في رموز الاتصال ووسائله، والحال أشبه بالفوارق المجتمعاتية في العالم بين العالم المتقدم تكنولوجيا والعالم النامي، بحيث ترسخ تلك الفوارق مظاهر تباين في استعمال رموز الاتصال وتوظيفها بالشكل المناسب والصحيح لتحقيق التأثير المرغوب، فالمعاني مطروحة في الواقع والبيئة والعالم الاجتماعي، غير أن تلك الفوارق ترسخ قراءات وتعابير متباينة تعطي صورة جلية عن القراءات الموضعية للواقع من قبل الأفراد والجماعات، وتلك التباينات في إنتاج وفهم رسائل الاتصال مرجعها على محددات سوسيولوجية نمطية اكتسبها الفرد خلال مسار تنشئته منها:

الانتماء الاجتماعي/الطبقة/مهنة الوالدين/البيئة الاجتماعية/ الوسائل المتوفرة في التواصل/الإمكانيات المختلفة ..

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفرد يمكنه الانتقال في نظم الاتصال والتعبير بين المظهر الكامن والظاهر،

فالكامن يعبر ويتواصل فيه بما تقتضيه الضرورة ويتوافق حوله المجتمع ويفهمه– أي أن التنشئة والمكتسبات الاجتماعية الكامنة في مخزون الفرد توجهه لإنتاج سياقات اتصال مقبولة غير مرفوضة، لا يتعارض فيها مع متطلبات المجتمع في مجال الاتصال وهي حاضرة بقوة في تفاعلاته واتصالاته، بما يسمح له بالتوافق والاندماج والتكيف، ويعمل على تعزيزها، فالمجتمع يشكل الفرد حتى يتكيف مع الآخرين

أما الظاهرة فهي تلك الخبرات الفردية المنعزلة التي يتميز بها كل فرد عن الآخر، وهي مقبولة اجتماعيا، ويستطيع من خلالها الفرد أن يطور مهاراته وقدراته في الإقناع وفي التواصل الهادف، وتحتوي على المهارات السلوكية والمكتسبات اللغوية– الزاد اللغوي المعرفي..– وفنيات التعبير والتفاعل.

فهم المجتمع من تصورات الفاعلين الاجتماعيين: حتى ندرك مميزات الحياة الاجتماعية لا بد أن ننطلق في كل الأحوال من دراسة تصرفات الفاعلين الاجتماعيين التي تحيلنا على إدراك تصوراتهم للوقائع وبالتالي فإن تلك التصورات تؤدي إلى فهم ما هو اجتماعي انطلاقا من تباين تصورات الفاعلين الاجتماعيين، ولتكن مثلا قضية تداول الإشاعات: ننطلق في فهم المجتمع وتعامله مع الأخبار انطلاقا من تداول الإشاعات، إذ يحيلنا هذا الموضوع إلى إعطاء كل ناقل للإشاعة تصورا عن محتواها وهدف الخبر ونتائجه..فتصورات الفاعلين الاجتماعيين الناقلين للإشاعة تكشف لنا عن ما هو كامن وغير ظاهر للدارس– والمجتمع في كل الأحوال حاضر في تصرفات الأفراد التي يحاولون تبريرها وربطها بالواقع، إذن الاتصال هو منفذ لفهم المجتمع بكل تعقيدات العلاقات وتشابك التفاعلات بين مكوناته.

لفهم نظم الاتصال وفعاليته في المجتمع ينبغي التركيز على الوحدة الصغرى –الذات– التي تقوم بالتفاعل ورؤيتها للحقائق الاجتماعية.

اعتبار الفرد حلقة أساسية في فعل الاتصال وهو المنتج لرموزه وأنساقه وهو المحرك الفعلي في التفاعل الاجتماعي.

إن المعاني والرموز في فعل الاتصال هي من اختيار الفرد ويطرحها للتداول– المصادقة – حتى تكتسب مشروعية وتعتمد اجتماعيا وعلى ذلك فنسق الاتصال يبنى من أذواق واختيارات وتعابير الأفراد شكلا ومضمونا.

ينبغي في عمليات التحليل الميكرو سوسيولوجي أن نأخذ في الحسبان:

- تأثير الواقعة الاجتماعية
- تأثير الوحدات الاجتماعية والحاضنة الاجتماعية– الأسرة جماعة الرفاق جماعات العمل والنقابات المنظمات والجمعيات..
- تأثير القوانين والأحكام والأعراف والعادات والتقاليد في صياغة وإنتاج رسائل الاتصال.
- تأثير العوامل النفسية من ميول ورغبات والشعور والوعي والإدراك وكيفية تصور الأفراد للأحداث، ثم قابليتهم أو دافعيتهم للتفاعل والاتصال
- تأثير الأفراد في عمليات الاتصال وقدراتهم على التحكم والتوجيه والانتباه.
- تأثير المواقف الاجتماعية والأحداث العامة في سلوك الفرد.
- تأثير اللغة والنمط التفاعلي والوسائل والبيئة والظروف المختلفة في إنتاج رسائل الاتصال ومدى اطلاع المستقبل عليها.
- تأثير العلاقات والروابط الاجتماعية في انتقاء سياق الاتصال
- تأثير الفاعلين الاجتماعيين في الحدث على المشاهد أو المتلقي أو الجمهور
- مدى تأثير التوافق والتباين بين المرسل والمستقبل على الأفكار التي يتبادلونها/ألفرد شوتز تعدد الحقائق الاجتماعية
- تأثير التجارب الاجتماعية القبلية في توجيه الاتصال
- تأثير السلوك والانفعال في عمليات التأثير وتوجيه فعل الاتصال
- مدى التقيد بالضوابط الأخلاقية والثقافية في عمليات الاتصال

بالإضافة إلى تحليل جوانب ظاهرة في شخصية الفاعل الاجتماعي في فعل الاتصال والاطلاع على عوامل الارتباط بالجماعة/ الثقافة/الدين/الإيديولوجية/السياسة/ الهوية..التي تساعد على تفسير متغيرات مهمة في عملية الاتصال التي توجه الفرد وتؤثر في ما ينتجه من رسائل وسياقات تواصلية.

محاضرة 14 تقنيات التحليل سنة أولى ماستر علم الاجتماع الاتصال.2020

التحليل التكاملي أو الشامل للإتصال

المجتمع الجموعي: تتعقد نظم الاتصال في المجتمعات بتعقد أنظمة إنتاجه، حيث يعتبر نظام الاتصال قائم على تجسيد النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع ككل، وبذلك لا يمكن فصل هذا النظام عن القواعد العامة السائدة التي أقرها المجتمع وتداولها، ومن ذلك نظام الاتصال.

يبدأ المجتمع بإقرار رموز الاتصال وسياقاته وبنائه ووظائفه معتمدا على أشكال النظم السائدة الأخرى التي تمده بالرموز والوحدات المعرفية المفاهيمية الدلالية، مثل النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي والسياسي والديني والثقافي، فتصبح بنية الاتصال تشاركية تتولد عن مختلف النظم السائدة وتثري رموزه ومصطلحاته، لنأخذ في هذا الشأن إنتاج المجتمع ككل لمفردات الزكاة، حيث نجد:- الصدقة- الهبة- الزكاة- الإعانة- وإن اختلفت مجالات هذه المفاهيم وتباينت إلا أنها تقر بوجه واحد في مضمون الاتصال لكن بمفاهيم اصطلاحية جزئية، وعليه فالمجتمع يقر ويثبت مشروعية تداولها واستعمالها في كل حقل اجتماعي، كما ان الفرد متاح له انتقاء أيها أنسب للتعبير عن الوضعية التي يعيشها

الكليانية في فهم النظام الاجتماعي للاتصال:

إن ما سماه ميرتن بالوظائف الظاهرة والكامنة يمكن الاستفادة منه في تحليل سياقات الاتصال الاجتماعي، حيث ينبغي التمييز بين وظيفة الاتصال الكلي في المجتمع وهي الوظيفة الظاهرة والمعتمدة والأساسية والمتعارف عليها، والتي يجب التقي دبها والالتزام بها وإلا يصبح الفرد باختياره لأنظمة وسياقات مغايرة يعيش حالة اغتراب، والكامنة التي تتعلق بالمهارات الفردية والقدرات الذاتية في التأثير والتعبير والمناورة والتضمين..، وهذا يرسخ للدارس أنه لا يتعامل مع رسائل الاتصال نفسها بطريقة واحدة مع جميع الأفراد إذ ينبغي التمييز بين:

- شكل الاتصال ومقاصده بناءا على:
- طبيعة الفاعل أو الفاعلين
- انتماءاته الاجتماعية والسياسية والدينية والعرقية...
- الأطر التنظيمية للاتصال خطابة نثر فن اتصال اعلام تعليم ترويج..
- المهارات الخاصة للفاعلين في الاتصال من حيث التضمين والتعبير نحو التشبيه والاستعارة..المناورة الترميز

لذلك يجب الاقرار بأن تحليل سياقات الاتصال ورموزه تنطوي على كثير من المجازفات خصوصا في الجانب السوسيولوجي.

وبالعودة إلى الاتصال على أنه فعل إنساني يقر ويؤكد فعاليته المجتمع فإن فهم هذا الفعل لا يتوقف على الجانب البنيوي أو الوظيفي أو الظاهراتي..بل يتعدى ذلك إلى مستوى أعلى، حيث نستعين في تحليل فعل الاتصال بالمستوى اللغوي الاجتماعي النفسي .. ويمكن استقصاء وإحصاء كم الرسائل ومحتوياتها وبنيتها ووظيفتها وأيضا كونها ظاهرة لا تتكرر في الزمان والمكان وإن تكررت فإنها لا تتكرر بنفس الشكل.

يرى دنكن أن هناك دراما داخلية في علاقة الفرد مع ذاته والآخرين بمحاذات الدراما الخارجية على مستوى النظام الاجتماعي يقول: نحن خطابين مع أنفسنا كما نحن كذلك مع الآخرين، وفي ذلك يقوم الأفراد باستمرار بفعل إقناع أنفسهم بمغزى سلوكهم تماما كما يسعون إلى إقناع الآخرين بذلك، وبذلك يعتبر فهم سلوك الفرد الاتصالي من المنظور التكاملي والشامل ذو اتجاهين:

* فعل ذاتي يختاره الفرد على ضوء مؤهلاته ورغباته وانتقاءاته لسياقات الاتصال وأشكاله وأيضا مضامينه

* فعل اجتماعي لما يتقيد فيه بعلاقاته مع الآخرين في اختيار نمط الخطابة والاتصال ومستواه ومحتوياته المتفق عليها اجتماعيا شكلا ومضمونا.

كما أن مستوى التحليل قد يتعدى ذلك لفهم أبعاد الاتصال، حيث يقول في هذا الجانب دنكن أن الخطابة هي أداة مثلا لتحميس الأفراد اللذين لا يستطيعون التفكير لأنفسهم، وهي لغة ملهبة قد تؤدي إلى تحبيب موضوعها أو خلق الكراهية حسب توظيف المتصلين لها، لذلك لا يمكن بأي حال في التحليل الاجتماعي للاتصال ورسائله ووسائله والفاعلين فيه استثناء المتغيرات الاجتماعية الثانوية التي يقوم عليها فعل الاتصال، بحيث تصبح المعطيات الاجتماعية عاملا مهما في توجيه الاتصال والتأثير على الفاعلين فيه، ويمكن التأكيد على ذلك مثلا بما ذهب إليه فرانك باركلين في معرض حديثه عن معالجة الغلق الاجتماعي ودور الحراك الاجتماعي في ذلك بحيث أن إعادة إنتاج العلاقات الطبقية لا تتحقق من خلال الاتصال الوراثي بين الأسلاف والأحفاد فحسب رغم أهميته، بل أيضا من اجراءات انتقائية للأفراد والجماعات..

كما أن تفسير محتوى الاتصال من الجانب الشمولي لا ينبغي التوقف عند ما تتضمنه مواده وكلماته وعباراته، بحيث يضاف إلى المعاني المتفق عليها اجتماعيا معاني يضيفها الأفراد لها ناجمة عن تجاربهم الاجتماعية الخاصة- وعن تجارب قادة الرأي حسب لازار سفيلد إذ يتم تفسير محتويات الاتصال على مرحلتين * من وسائل الإعلام إلى قادة الرأي ثم من قادة الرأي إلى الجمهور.

- تحدد طرق الاتصال بين الأفراد على طبيعة العلاقة بين الفاعلين الاجتماعيين
- لفهم محتوى الفعل الاجتماعي في فعل الاتصال ينبغي التركيز على الفاعل الاجتماعي المنتج له
- الفعل الاجتماعي حسب ألفرد شوتز في الاتجاه الفينومينولوجي يتعلق بوضعية الفرد فالمعايير الثقافية لا تلزم الأفراد إنتاج الأفعال نفسها بل كل فرد يعدل المعايير الثقافية بكيفية تنسجم مع تجربته الخاصة، لذلك قد نرى أن فعل الاتصال حول موضوع واحد بين العديد من الأفراد هو نفسه، لكن في حقيقة الأمر أن كل اتصال فردي مهما اشترك في موضوعه مع الآخرين هو ظاهرة تختلف بشكل ما عن باقي الاتصالات الأخرى.
- يبقى التنميط حسب شوتز هو ما يجعلنا نحكم على أن كل أفعال الاتصال المشتركة والنمطية تقوم على وحدة الموضوع والوسيلة والشكل، غير أن تحليلها يفضي إلى تباينات في القصد والفهم والتأويل..مما يجعلها متشابهة في الشكل متباينة في المضمون.
- الحقائق من منظور التحليل التكاملي للاتصال متعددة، الواقع موجود كما هو لكن الحقائق التي نفسرها وننقلها من خلال الاتصال تبقى مرتبطة بقدرة الفاعل الاجتماعي في التحكم في الاتصال حتى ينقل تفاصيلها، وهذا التحكم ليس كلي مما يجعل تلك الحقائق متعددة ومتباينة أحيانا من شخص لآخر، والسبب في ذلك هو تباين قدرات التعبير ونقل الحقائق في فعل الاتصال، بالإضافة إلى الذاتية أو نقص الخبرة..

إذن يطلعنا التحليل التكاملي لفعل الاتصال على معطيات قد تغفلها التحاليل الأخرى البنيوية والوظيفية والظاهراتية والسيميولوجية..على اعتبار أننا لا نستطيع تفكيك أفعال الاتصال بمعزل عن الإطار اللذي نشأت فيها، كما أننا لا نقتصر على نمط محدد في التحليل بل يعتبر التحليل التكاملي إلزاميا في الإلمام بمتغيرات فعل الاتصال-بنائيا وظيفيا ظاهراتيا كميا..